مدلولات تكوينات الميجاليث

الصخرية القديمة فى أفريقيا

دكتور حسن الشريف
مدرس التاريخ القديم بآداب المنوفية

تعنى الميجـاليث mégalithes (*) ، تكوين صخـرى بوضعية معينة • وعادة ما تكون كتلة الصخرية خشنة ، وخالية تقريبا من أى محاولات لنحتها أو نقشها الا فيما ندر •

وقد تنوعت أشكال الميجاليث ، وذلك طبقا للوضعية التى تكون كتل الحجارة ، كما أن بعض طرزها ارتبط وجوده بأماكن دون غيرها من مناطق العالم القديم • وعـرف لبعضها استخدامات صريحة ، وظل بعضها الآخر دون فهم واضح لطبيعة الوظيفة التى أقيمت من أجلها •

أما عن المراحل الزمنية ، التى من المحتمـل أن تكون شهدت ظهور هذه التكوينات الصخرية ، بطرزها المختلفة ، فتكاد تتفق آراء من تناولوا موضوعاتها ، على أن أقـدم نماذجها لا يبعد زمنيا عن مرحلة العصر الحجرى الحديث ، أو عصر البرونز المبكر عـلى أقل

(*) mégalithes مصطلح بتركب من الكلمتين اليونانيتين : megas بمعنى كبير و Lithos بمعنى حجر . ورددتـه بعض المعاجم والكتابات العربية ، أما بلظة مغليث أو ميجاليث . كمـا أبقت على مسميات طرزه على ما هى عليه فى لغاتها الأوربية ، فقيل : دولمن dolmen وقيل منهير menhir .

تقدير • وبعض التقديـــرات التى استمدت نتائجها من بعض طرق التقويم الحديثة ، تقترح لها منتصف الألف الثالث قبـــل الميلاد ، أو بداية الألف الثانى قبل بداية عصرنا الحالى[1] •

هذا وقد استمرت بعض تكوينات الميجاليث تقام بواسطة بعض الجماعات ، حتى القرون الميلادية القريبة ، حتى ليظن أن بعضها أقيم فى أزمنة حديثة جدا •

والواقع انه يصعب تصور مقدرة ما الجماعات البدائية الأولى ، تمكنها من تحريك مثل تلك الكتل الضخمة من الأحجار واقامتها عـــلى شىء من دقة التنفيذ ، الا اذا توفر لمثل هذه الجماعات قدر معقول من النمو والتنظيم الاجتماعى المحدود ، مع وجـــود وفرة وطمأنينة لمصادر طعامهم ، تتيح لهم من الوقت ، ما يساعدهم على اتمامها •

---

(١) عن محاولات تقويم المغليث زمنيا والتقديرات المقترحة انظر :
Hole, F., and Heizer, R. E.,

Prihistorie archeology, New York, 1977, pp. 329 — 330.

Celoria, F., L'archologie pour tous, Larousse, Paris, 1972, p. 72 .

Alimen, H., Atlas de Préhistoire, V.I., Paris 1950, p. 181 .

ID., Atlas de Préhisloire, t. II, « Préhistoire de L'Afrique », Paris, 1966, p. 469 ff .

« Field Archaeology » issued by Ordnance Survey (Her Majesty's Stationery Office, London, 1963), p. 31 .

Roberts M., The ancient World, Macmillan education LTD, London, 1987, p. 29 — 30.

وكذلك انظر ما كتبه باقتضاب عن هذا الموضوع : فوزى عبد الرحمن الفخرانى ، الرائد فى فن التنقيب عن الآثـــار ، الطبعـــة الأولى ، نشر جامعة قاريونس ، بنغازى ١٩٧٨ ، ص ٥٩ وما بعدها وكذلك : الموسوعة الأثرية ، معرب بالقاهرة ، تحت مادتى « ستون هنج » و « كارناك » .

وهذا فى أغلب الظن لا ينطبق الا على مجتمعات العصر الحجـرى الحديث وما تلاه .

ومن نماذج الميجاليث التى شاعت فى أقطار عديدة ، ما يعرف اصطلاحـا باسم دولمن dolmen (*) وهذه عبـارة عن كتلة حجرية مسطحة ، تأخذ شكل بلاطة ضخمة ، تعتمد أفقيا عـلى كتلة أخرى ، بحيث يبدو التكوين أشبه بمنضدة صخرية كبيرة . (انظر لوحـة ١ وشكل ١) . وقد تأخذ الدولمن فى بعض الأحيـان شكل ممر طويل مسقوف بقطع حجارة أفقية ، كما أنها أحيانا أخرى

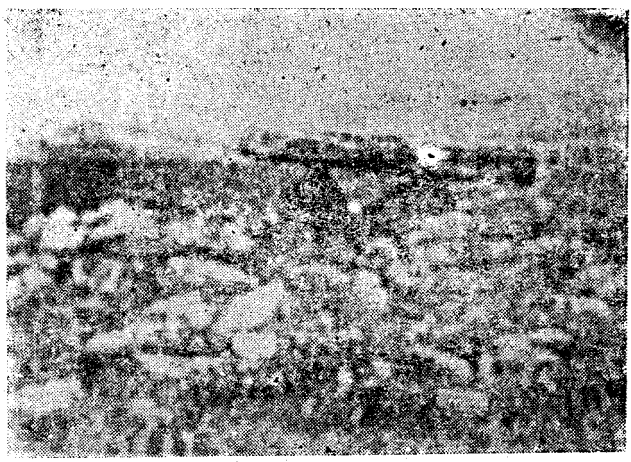

لوحـة ١

نموذج المنضدة الصخرية dolmen
(أبو نوارة ، قسنطينـة بالجزائر)

(*) مصطلح dolmen تـركيب من كلمتى dol بمعنى منضدة و men بمعنى حجر وذلك حسب لهجة محلية تنسب الى Breton بغرب فرنسا ، ويقترح الدارس تعريبها بالمنضدة . أما menhir فهى من hir بمعنى طويل و men ـ كما سبق ـ بمعنى حجر ويقترح الدارس لها الصخر القائم .

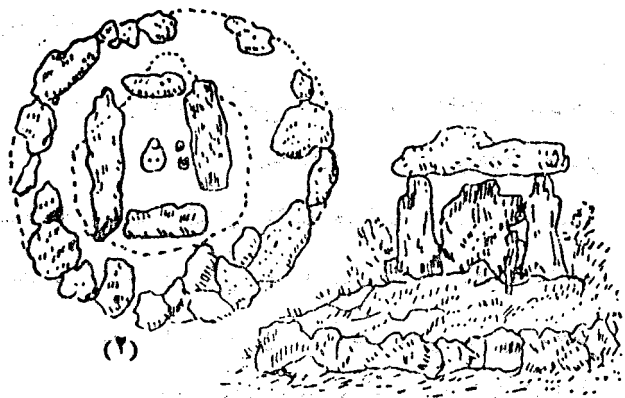

شكل (١)

دولمن من روكنية Roknia بالجزائر
١ – الدولمن من وضع المنظور .
٢ – الدولمن من مسقط رأسي

عن : Bourguignant

تكون مطمورة فى أكمة من التربـــة والحجـــارة ، مكونة ما يعـــرف بالجشوة tumulus وهذه الأخيرة قد يتراوح محيطها بين ٢٠ ، ١٠٠ مترا . (شكل ٢) .

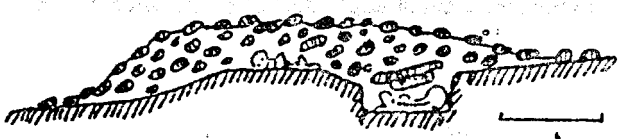

شكل (٢)

جشوة من Adrar Ahnet بغرب الصحراء الكبرى

عن : Th. Monod

أما ثانى أشكال الميجاليث ، فهى تلك القطع الصخرية الطولية ، التى تقام أو تغرز رأسيا فى الأرض وهى بوضعيتها تلك قريبة الشبه

بالنصب ، وتسمى اصطلاحا منهير menhir ، (لوحة II) وقد تأخذ شكلا اسطوانيا أو مخروطيا أو مغزليا • وغالبا ما تكون من كتلة حجر غفل خشنة ، خالية من أى أعمال نحت أو نقش ، الا فى حالات محدودة نادرة • وقد يصل ارتفاع بعض نماذجها الى أكثر من عشرين مترا • واذا ما صفت كتل هذا النوع من المغليث فهى اذن مصافة أو تراصف alignements ، أما اذا أقيمت على شكل دائرة فهى عندئذ Cromlechs •

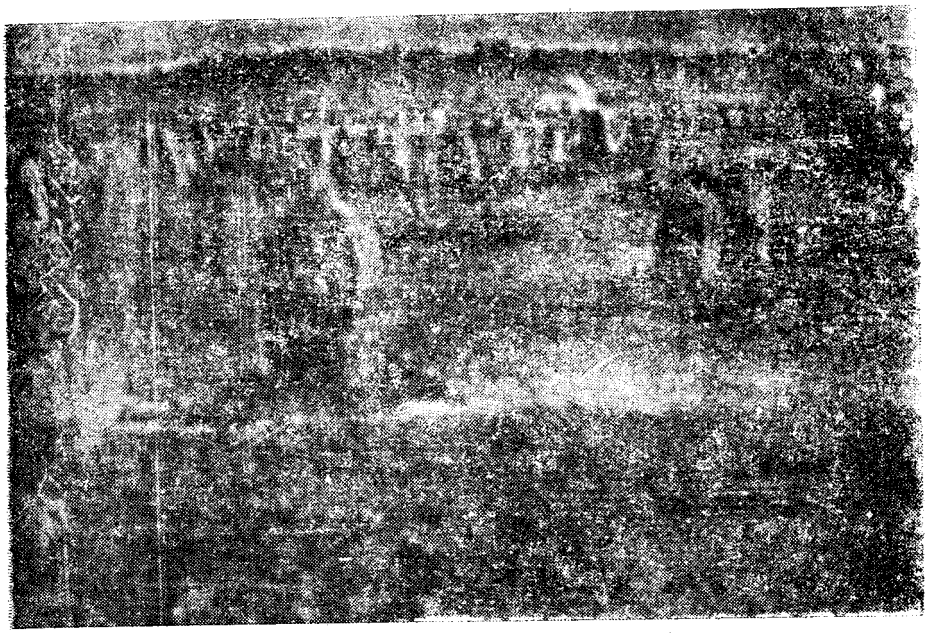

لوحة II

نموذج من الصخر القائم منهير menhir

(كارناك ، بريتانى بشمال غربى فرنسا)

وتنتشر أنواع الميجاليث ــ سالفة الذكر ــ فى أنحاء العالم القديم ، من أوربا وآسيا وأفريقيا ، بل أن بعض طرزها وجد فى القارة الأمريكية • ويبدو أن مناطق غرب أوربا على وجه الخصوص

من أكثر مناطق العالم ثراء فى تكوينات المغليث بأنواعها • وتحظى أقاليم غرب وجنوب فرنسا ، وأسبانيا ، وغرب انجلترا ، وبلاد اسكندنافيا بنسب ملحوظة من هذه الآثار(٢) •

واذا كان لهذه الآثار مثل هذا الانتشار والشيوع الواسع ، الى جانب تنوعها الملحوظ من حيث الشكل والتكوين ، ففى هذا ما يدعو الى البحث عن مدلولها والدوافع التى انشئت من أجلها ، واستوجبت بذل هذا الجهد الخارق للعادة ، من جانب أصحابها •

والواقع أن بعضها قد أفصح عن المعنى الذى أقيمت من أجله وهو ما ينطبق بصفة خاصة على نماذج المناضد الصخرية dolmens ودوائر الميجاليث Cromlechs وأشكالها كالجشوات tumulu فقد ثبت استخدامها كجبانات لتجميع العظام ، أى معظمات جماعية أو هى فى حالات أخرى علامات دالة على هذه المعظمات •

أما بالنسبة الى نماذج الصخر القائم من نوع منهير menhir فمن غير الواضح الغرض الحقيقى لاقامتها • وقد اعتقد أن بعضها كالتى فى ستون هنج Stonehenge بانجلترا انما أقيمت لأغراض العبادة وممارسة شعائر دين غير معروف • ولكنه — أى هذا الدين — يرتبط ببعض الظواهر الفلكية ، ذات العلاقة بشروق الشمس فى وقت الانقلاب الصيفى ، وغروبها فى وقت الانقلاب الشتوى وبداية الفصول •

---

(٢) تم احصاء اجمالى لنماذج الميجاليث فى فرنسا ، فكان مجموعها أكثر من ٤٫٥٠٠ نموذج ، كان أكثرها ارتفاعا وأثقلها وزنا ما هو موجود منها فى Locmariaquer (بريتانى بغرب فرنسا) اذ بلغ ما يزيد عن ٢٠ مترا ارتفاعا و٣٠٠ طن وزنا . وهى حاليا محطمة ربما بفعل الصواعق بالنسبة لبعضها انظر :

Brezillon, M., « Dictionnaire de La préhistoire, » Larousse, Paris, 1972, pp. 86, 142, et 153 .

وقد لا يخلو الأمر من طرافـــة ، اذا ما أشرنا ، الى محاولات استخدام الحاسب الآلى Computer شأن كثير من الأمور فى أيامنا هذه ــ للخروج بحسابات سريعة للمطابقة بين وضعية هــذه التكوينات الميجالثية وبعض الوقــائع الفلــكية الثابتة ، وفى تقدير أصحاب هذه التجارب ، انه من الممكن رؤيــة جميع دورات القمــر الهامة ، كما يمكن حفظ دروبها بطريقة منظمة عبر السنين ، عن طريق تثبيت بعض العلامات • بل لقد ذهبوا الى حد امكانية التنبؤ بوقت حدوث التغيرات القمرية مثل ظاهرة الخسوف(٣) •

واذا كان الدارس يرى من الضرورى النظر بتحفظ شديد الى استنتاجات على هذا القدر من المغالاة • الا أنه من الانصــاف أن توضع أيضا هذه الآثار الميجاليثية على نفس القــدر من الأهميــة ووجوبية التحقيق والتحــرى ، شأنها فى ذلك شأن ظواهر أثريــة أخرى ، كرسومات حوائط الكهوف ، أو تلك النقوش الصخرية ، التى تغطى حزاما عريضا بطول الصحراء الأفريقية الكبرى • وما يجمع بينها جميعا خروج الظاهرة عن حيز الأقليم الواحد المحدود ، وضخامة الجهد الانسانى المبذول فى اتمامها ، وغياب أى فائدة عملية مباشرة لوجودها ، فى أغلب الحالات • ثم انها لم تحظ بعد بالنصيب اللازم من الدراسة ، التى تتناسب وحجم موضوعاتها •

وفى أفريقيا ، كان للقــارة نصيب وافــر ومتنوع من الآثــار

---

(3) Hawhins, C.S., Stone henge a Neolithic Gomputer. Nature, 202, 1964, pp. 1258 — 61 .

البعض يعارض مثل هذه الاستنتاجات ويستبعدها ، انظر :

Hole, F., Speculation on stone henge, Antiquity, 40, 1966, pp. 262 — 276 .

وكذلك :

Thom, A., Megalithic - Sites in Britain, Oxford, 1967 .

الميجاليثية ، فوجد بها جميع أنواع الميجاليث وزادت عليها طرز أخرى محلية ، لم تعـرف خارجها ، وخـاصة فى الشـمال ، حيث عرفت الشوشية Chouchet ، والحوانيت haouanet والخـزائن المطمورة Silos .

* * *

وبالنسبة للميجاليث الأفريقية ، فانه من الصعوبـة بمكان ، ايجاد تقويم زمنى لأعمارها . ففى شمال القارة لا يعرف عنها سوى انها تقع فى المراحل التى تسبق الفتح الاسلامى ، ربما فترة العصر الرومانى ، ولكن بعض الأبحاث التى تمت فى بعض مناطق المغـرب الأقصى ، ترجع بعض نماذج الميجاليث الى عصر البرونز للشـمال الأفريقى .

ويمكن القول أن الآثار الميجاليثية الأفريقيـة ، كان لها طابعها المتميز . كما كان لها استخداماتها الواضحة . فهى فى أغلب حالاتها اعتبرت كجبانات . وبالنسـبة للمنضدة الصخريـة dolmen فهى فى أفريقيا لا تختلف عن مثيلاتها فى أى مكان آخر . ولكنها ـ أى الأفريقية ـ تميزت بصغر أحجامها عـلى العموم ، وتحتفظ أقـاليم الجزائر بأجمـل نماذجها ، كالتى توجد فى جبـل مازيـلا Mazela فى موقع يقال له « أبو نوارة Bou Nouara » ، عـلى الطريق من قسنطينة الى جيلما Guelma ، وهى أيضـا فى روكنيـة Roknia فى الشمال من جهة يقـال لها حمـام المسخوطين Hammam Meskoutine وكذلك فى سيجوس Sigus على الطريق من قسنطينة الى عين بعيدا Ain Beida وفى بنى مسوس Beni Messous ، بالقرب من مدينة الجزائر(٤) .

(4) Brahimi, C., «Initiation Là préhistoire de L'Algerie » Alger, 1972, p. 84 .

ويضـــاف الى ذلك ، الجشوات tumulu ، وتنتشر فى الجزائر من الشمال الى الجنوب الصحراوى ، وقـــد تمت تكسية نماذجها من الخارج بواسطة قطع الحجارة ، وتعطى اسما محليا هو « الرديم » • ويســـميها البـــربر « بأزينا Bazinas »(*) (شكل ٢) •

أما النوع الآخر من الميجاليث ، والمقصود هو الصخر القـــائم menhir ، فهذه ذات طرز بسيطة ، وعادة ما تكون مجـــاورة للقبور ، وربما يكون من أكثر نماذجها مدعاة للاهتمام ، ما كشف عنه ريجـــاس Reygasse ، فى واحة أبليسا Abalessa فى منطقة الهجار • فقد عثر فى الموقع المذكور عـــلى قبـــر سيدة ، وجد هيكلها العظمى راقدا فوق سرير من الخشب ، من المعتقد انـــه يعود الى فترة العصر الرومـــانى • ومما يجـــدر ذكره ان جماعات البربر جعـــلوا من تلك السيدة أما لقبـــائلهم النبيلة بينمـــا اعتبروا خـــادمتها — وكانت مدفونـــة فى نفس المقبـــرة — أما لقبـــائلهم الأدنى(٥) •

وقد عرف الشمال الأفريقى ، بالاضافة الى الطرز المـــألوفة من الميجاليث ، أنواعا أخرى محليـــة • ويتضح من دراستها ان بعض أقاليم الشمال الأفريقى استحدثت نماذج معينة وألفتها دون غيرها • والواقع قد يرجع سبب ذلك ، الى عظم مساحة شمال افريقيا والتنوع البيئى والجغرافى الذى يميزه •

---

(5) Reygasse, M , Monuments funéraires préislamques de L'Afrique du Nord. Paris, A.M.G., 1950, 134 p., 175 fig .

(*) قد يكون من الطريف الاشارة الى نوع طعام شعبى ، مألوف لدى سكان جنوب ليبيا وجماعات البربر هناك . ويقال له « بازين » وهو عبارة عن « عصيد مخلوط بالخضروات المطهية » ويقدم فى شـــكل أكوام صغيرة مخروطية .

ويمكن النظر دائما الى شمال افريقيا ، فى ضوء نطاقات ثلاثة ، أقاليم شرقية ، وحدودها غربا مقاطعة قسنطينة بالجزائر وأقاليم غربية وتشمل غرب الجزائر والمغرب الأقصى ، ونطاق صحراوى فى الجنوب ، وكان لكل من هذه الأقاليم آثارها الميجاليثية المنفردة •

ففى مناطق من تونس وشرق الجزائر ، عرفت الحوانيت haouanet (لوحة III) وحوانيت هى جمع حانوت الكلمة العربية المعروفة • وهذا النموذج هو أكثر الأنواع تعقيدا

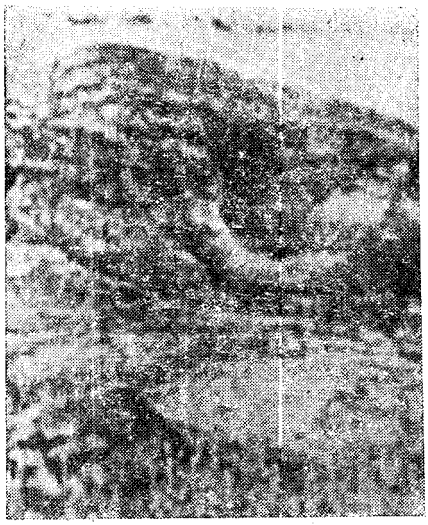

لوحة III
نموذج الحانوت كما وجد فى شمال أفريقيا
(رأس بونو . تونس)

فهو عبارة عن حجرة مكعبة منحوتة فى باطن الجبل ، ومن الضرورى اغلاقها بواسطة بلاطة خارجية تنزلج على أفريز أعد خصيصا أمام الفتحة •

وفى أقصى المغرب ، فى طنجة والأقاليم المجاورة لها[٦] تنتشر

(6) Ponsich, M., Recherches archeologiques à Tanger et dans sa region, ed. C.N.R.S., Paris, 1970, p. 50, PL. XI, fig. 15 .

فى أكثر من موقع ، على التلال والهضاب ، العديد من الجبانات الميجاليثية ، التى تم تشييد مقابرها بواسطة عدد من بلاطات الحجر الجيرى الأملس تم غرزها فى التربة على هيئة صندوق أو « خزانة حجرية» مطمورة ، ذات أضلاع أربعة • ضلع منها هو دائما من بلاطة أصغر حجما ، فتبدو المقبرة فى شكل شبه منحرف • وفى مرس Mers ، عند الكيلو ١٤ على الطريق بين طنجة والرباط ، أخذت هذه التكوينات هيئة الأكواخ الضيقة ، والتى تسد فتحتها بلاطة ، دعمت بكتل حجرية (لوحة IV وشكل ٣) وبالنظر لضيق

لوحة IV

مقبرة من نوع الخزائن المطمورة

(مرسى ، طنجة المغرب الأقصى)

المقبرة وهيأتها العامة ، كان المتوفى يوضع فيها فى رقدة مثناة ، لذلك فى الحالات التى تم فيها العثور على هياكل عظمية فى مواضعها ، وجدت فى حالة حفظ سيئة • وعثر فى بعض الحالات على بعض الأدوات البرونزية فى صحبة المتوفى ، فهى لذلك تؤرخ بعصر البرونز للشمال الأفريقى •

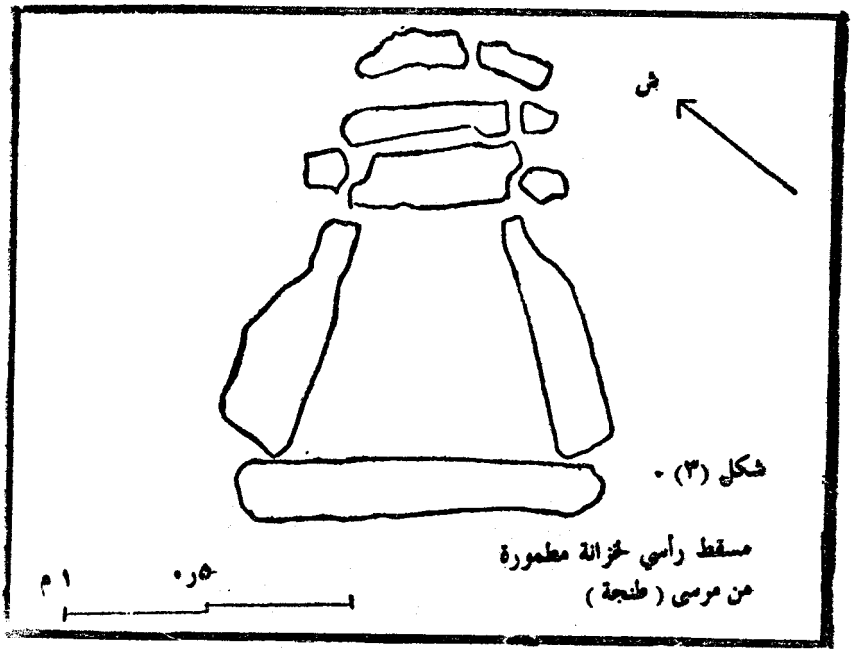

شكل (٣) ٠

مسقط رأسي لخزانة مطمورة
من مرمى (طنجة)

يبقى نمط آخر من المقابر الميجاليثية ، وعلى ما يبدو أن هذا النوع كان أكثر ارتباطا بالجنوب الصحراوى ٠ ويعرف باسم الشوشية Chouchet ، وينتشر فى مناطق الجنوب من ليبيا والجزائر ٠ والشوشية عبارة عن بناء شيد على سطح الأرض من قطع الحجارة ، اسطوانى الشكل يشبه فى منظره فوهة البئر ، ويتم تشييد حائطها الخارجى بعناية فائقة ، ويتراوح ارتفاع هذا الحائط عن سطح الأرض ، من متر الى متر ونصف ، بينما يبلغ محيطه ما بين ثلاثة وخمسة أمتار تقريبا (شكل ٤) ٠

وقد توفر للباحث تفقد بعض نماذج هذا النوع ، فى منطقة

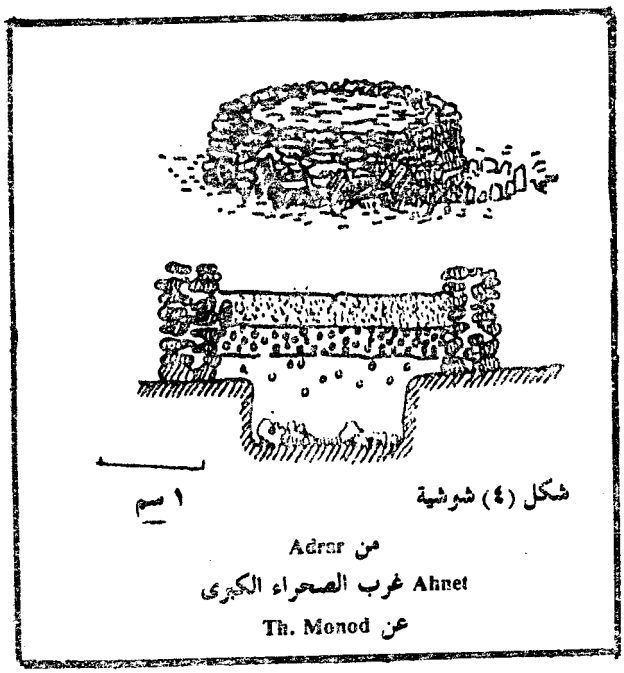

شكل (٤) شوشية

١ سم

من Adrar

غرب الصحراء الكبرى Ahnet

عن Th. Monod

« وادى الآجال »(*) من نواحى فـزان ، بين جبـال مرزق وأقليم الزلاف ، جنوب ليبيا . واستلفت نظر الباحث أن قلة من هذه المقابر

(*) تنسب هذه التسمية الى اهالى فـزان ، وذلك بالنظر الى الكثرة العددية الهائلة للمقابر الحجرية الموجودة فيه ، والتى تنتشر على السفوح المنحدرة نحـو باطن الوادى . لجبـال حمـادة مرزق ، بطول الوادى . وتنسب هذه المقابر الى الجـرامنت وهم عناصر شاع ذكرها فى التاريخ الليبى القديم ، وسكنت وادى الآجال . ونواحى اخرى من فزان . وتحدث عنهم هيرودويت ووصف عرباتهم التى تجرها الخيول .

عن الجرامنت واصلهم انظر مقالة :

فوزى فهيم جاد الله ، « مسائل فى مصـادر التاريخ الليبى قبـل هيرودوت » بحث منشور فى مجـلد « ليبيا فى التاريخ » نشر الجامعـة الليبية ، كلية الآداب ، المؤتمر التاريخى ، ١٦ — ٢٣ مـارس ١٩٦٨ ، بنغازى ، ص ٤٦ — ٧٣ .

تم تسقيفها بقطع الحجارة ، مما جعل المقبرة أقـرب ما تكون الى الشكل الهرمى ، (لوحة ٧) •

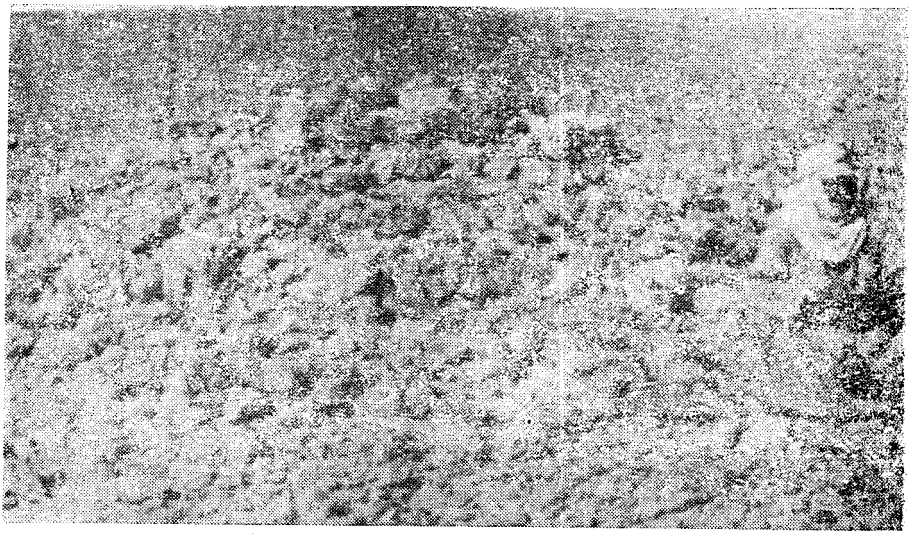

لوحـة ٧

نموذج لشوشية مسقوفة

(وادى الآجال • فزان جنوب ليبيا)

أما فى شرق القارة ، فيوجد فى أثيوبيا أجمل الصخور القائمة ، من نوع menhir ونعتبر أثيوبيا من هذه الناحية ، أكثر بلدان أفريقيا ثراء فى هذا النوع من الميجـاليث • وتتميز صخور أثيوبيا القائمة ، عما عداها، بما تحمله من زخارف ونقوش (شكل ٥) •

وفى بقية أقطار أفريقيا ، يحظى كل قطر من أقطارها ، بنصيب قل أو كثر ، من تكوينات الميجاليث • وهى فى عمومياتها لا تخـرج عن النماذج التى ذكرت فى هذه الدراسة • غير انه فى السـنغال

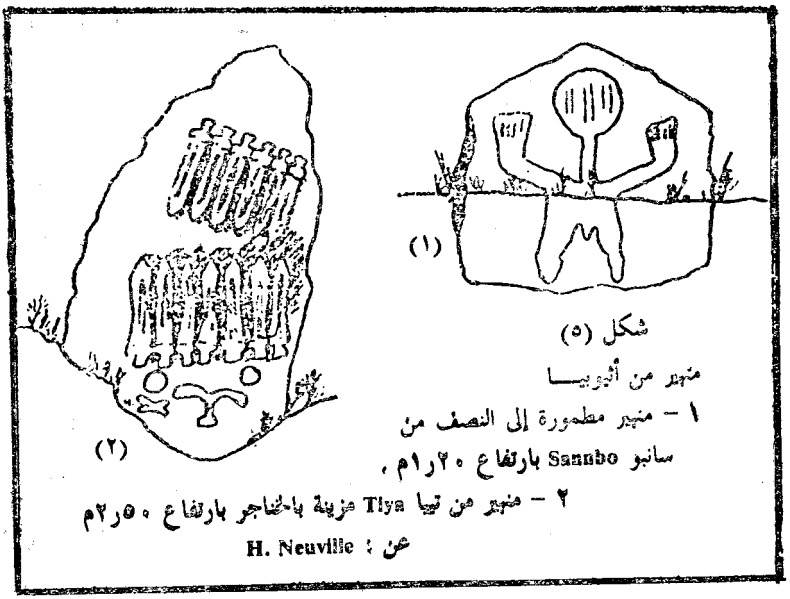

شكل (٥)

منهير من أثيوبيـــا

١ – منهير مطمورة إلى النصف من سانبو Sanbo بارتفاع ٢٠ر١م .

٢ – منهير من تيا Tiya مزينة بالخناجر بارتفاع ٥٠ر٢م

عن : H. Neuville

حاول أحد الباحثين[٧] أن يستخلص ، من بعض نماذج menhir تقع فيما بين دكار وبماكو ، علاقة مزعومة ، بين توجيه صفوفها وبين المسار الشمسى .

* * *

وفى مصر تعتبر الافادات التى أشـــارت الى وجود تكوينات ميجاليثية قليلة . وهى فى مجملها لا تعـــدو أكثر من ذكر لوجودها وتعيين أماكنها . وأولى هذه الاشارات ما أفـــاد به دى مورجـــان Morgan (de)[٨] ، عن وجـــود تـــكوين ميجـــاليثى شرق مدينـــة أدفو .

---

(7) Jounne, (Dr), Monuments mégalithiques au Sénégal, Bul. Com. Hist., A.C.F., 1916 — 1920, ed. Larousse. Paris .

(8) Morgan, J. de, « Recherces sur Les origines de L'Egypte », T.I, L'age de La pierre, et Les métaux, Paris, 1890, fig 598 .

اما الاشارة الثانية ، فجاءت من جانب بوفيه — لابيير Bovier - Lapierre [9] فى ثنايا تقريره ، عن موقع حلوان العمرى ، جنوب القاهرة • فقد أشار الى وجود نماذج من الجشوات tumulu ، اعتقدانها من أجل استخدامات شعائرية ، تتعلق بمجموعتين من المقابر كشف عنهما فى منطقة وادى حوف • ثم عاد بوفييه — لابيير مرة ثانية ، وأشار الى وجود نفس هذه التكوينات الميجاليث جنوب مدينة أسوان[10] •

فاذا كان الأمر كما يعتقد بوفيه — لابيير ، نكون بذلك ازاء تحديد تقويم زمنى لعمر نوع من الآثار الميجاليثية ، فى مصر ، وهى الجشوة ، فهى اذن ترتبط بمرحلة العصر الحجرى الحديث ، ويبدو انها استمرت حتى عصر حضارة نقادة على أقل تقدير • ذلك انه فى منطقة حفائر بترى Petrie فى نقادة — محافظة قنا — وبالتحديد جنوب الجبانة الكبرى ، التى يطلق عليها ، new rac والى الجنوب من أحد الأهرامات هناك ، يعرف بهرم الزويدة ، نسبة الى الناحية ، وجد تكوينان من نوع الجشوات tumulu يبلغ ارتفاع الواحد منهما نحو خمسة أمتار ، بينما القطر عند القاعدة يقدر بحوالى ٢٠ مترا • (شكل ٦) •

كان هذان التكوينان ، ضمن الأهداف الرئيسية ، التى من أجلها تشكلت ، بعثة أثرية ، من قسم التاريخ ، بكلية آداب جامعة الاسكندرية ، وذلك فى شتاء عام ١٩٨١ ، باشراف الأستاذ الدكتور رشيد الناضورى ، وكان الباحث أحد أفرادها •

---

(9) Bovier - Lapierre, R.P., « Une mouvelle station néotithique (EL Omari) au nord d'Helouan, Cong. Int. de Geog., Le Caire, 1925, Compte Rendu, IV. pp. 262 — 282, Le Caire, 1926, pp. 277 — 81 .

(10 ID., Industries Préhistoriques dans L'ile d'Eléphantine et aux environs d'Assouan, B.I.E., XVI, 1934, p. 125 .

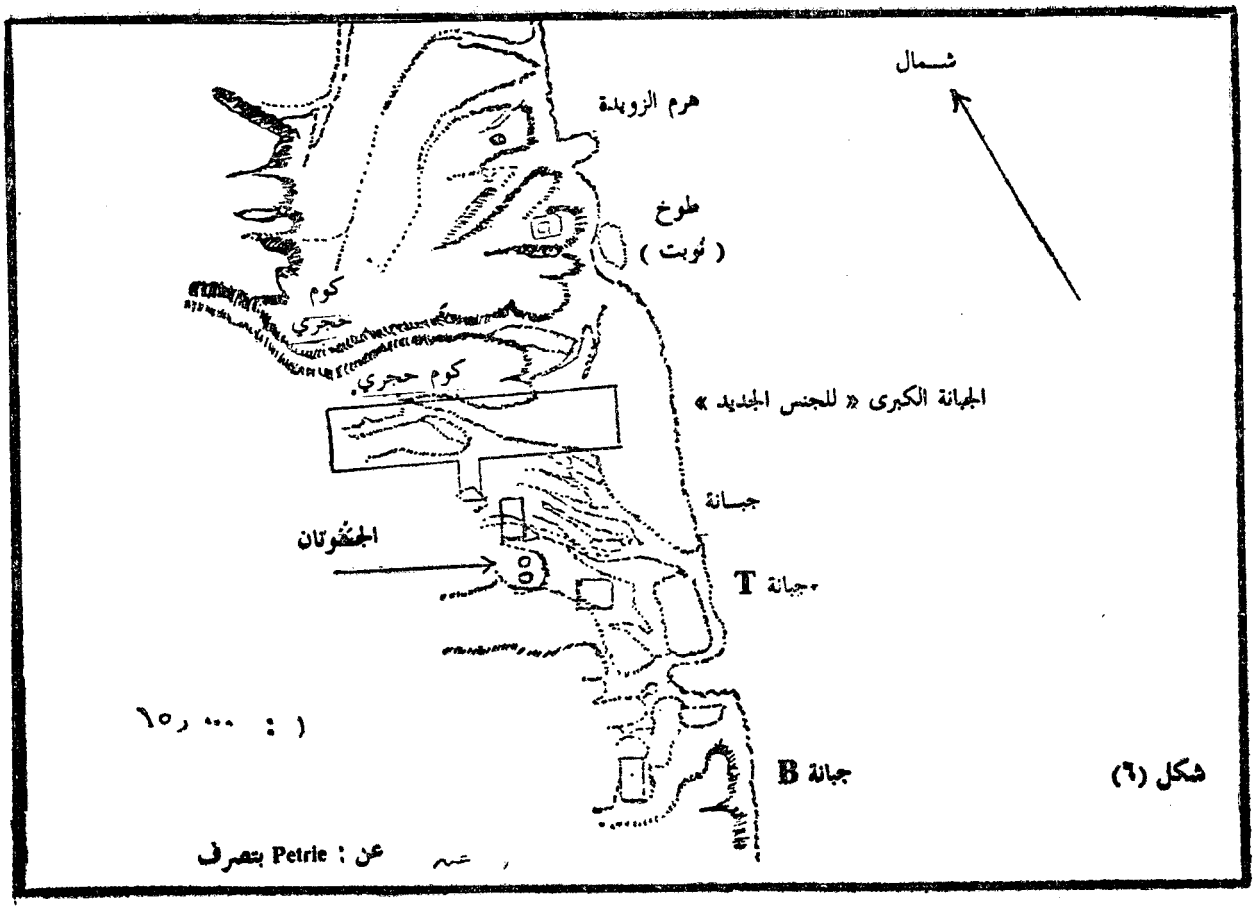
شمال
هرم الزوبلة
طوخ
(لوبت)
كوم
حجري
كوم حجري
الجبانة الكبرى « للجنس الجديد »
جبانة
الجحوتان
جبانة T
(: ٦٥,٠٠٠
جبانة B
عن : Petrie بتصرف

شكل (٩)

كان الاعتقاد لدى البعثة ، ان الجشوتان قـد تعلوان مقبرتين متميزتين ، تتميان بطبيعة الحال لجبـانة نقادة ولعصرها • وبدأت أعمال التنقيب فى الجشوة الجنوبية ، وكان من الملاحظ ان تكوين الجشوتين ليس من رديم من قطع الحجارة وحصى ورمال ، وانما اقتصر فقط على قطع الحجارة المختلفة الأحجام • وتم رفع قطع الحجارة لفتح شق اخدودى ، من أحد جوانب الجشوة ليمـكن الوصول الى باطن الجشوة ، فى نقطة بمثابة المركز منها • (لوحة VI و أ) •

لوحـة VI « أ »

الشق الاخدودى الذى فتحته بعثة حفائر جامعة الاسكندرية (سنة ١٩٨١) فى جانب من الجشوة الجنوبية فى ناحية نقادة ـــ محافظة قنا

وعندما وصل العمل الى مستوى الأرض ، بدأت أعمال الحفر ، بواسطة أدوات الحفر التقليدية ، وقد اتضح ـــ من اللحظة الأولى ـــ

ان الأرض بكر ، ولا توجد دلائل تشير الى انها حفرت من قبل • وكانت طبيعة الأرض شديدة الصلابة ، ومع ذلك كان على البعثة أن تتأكد • واستمرت أعمال الحفر بصعوبة شديدة لحفر خندق مربع ، بطول متر للضلع (لوحة VI ، ب) وعند عمق متر ونصف من مستوى سطح الأرض • وأجهتنا كتلة صخرية صلبة ، استحال ازاءها استمرار الحفر •

لوحـــة VI « ب »

الخندق المربع الذى حفرته البعثة المذكورة
فى التربة أسفل الجشوة

واستعانت البعثة برأى جيولوجى هيئة المساحة بمحافظة قنا ، فأكدوا صدق استنتاجنا وكان واضحا ان الجشوة أقيمت على أرض بكر لم تحفر من قبل •

بعد ذلك انتقل العمل الى كشف المنطقة التى كانت تفصل بين الجشوتين ، وكانت المفاجأة ، اننا عثرنا على ست دفنات سطحية فقيرة ، لم يتبق من أصحابها سوى هياكلهم العظمية وكان من الواضح أن الدفنات خالية من أى محاولات تكفين ، وانها لم تزود بأى منقولات جنائزية والغريب فى أمر هذه الدفنات ، انها لم تتبع توجيها معينا فبعضها وجه نحو الشمال ، وبعضها الآخر نحو الغرب ، وكان الأمر الظاهر هو استغلال مساحة المكان المحدودة والمحصورة بين الجشوتين فى ترتيب هذه الدفنات • أما عن وضعية المتوفى ، فكانت الهياكل العظمية ممدة ، على الظهر ، وهى بذلك تخالف الوضعية التى شاعت فى عصور ما قبل التاريخ ، والمقصود هو وضع القرفصاء أو الوضعية الجنينية •

ويعتقد الباحث — والحال هكذا — ان هذه الدفنات ليست بذات صلة بالجشوتين ، وهى معدومة الصلة بعصر حضارة نقادة لعدم أتباعها وضعية وعادة الدفن كما كشفت عنها مقابر نقادة • وأغلب الظن انها جاءت فى مراحل لاحقة ، قد لا تكون موغلة فى الزمن ، ولكنها على أى حال قبل العصر الاسلامى •

أما فيما يتعلق بالجشوتين ، يعتقد الدارس أنهما أقيمتا ، ليكونا بمثابة علامة دالة على منطقة الجانة • والمقصود هنا ، جبانة عصر حضارة نقادة • وهى عموما وظيفة تركيها الشواهد من موقع « حلوان العمرى » ومواقع أخرى ورد ذكرها •

وقد تجدر الاشارة الى أن هذا النوع من الآثار الميجاليثية ، يبدو كونه مألوفا • كلما أخذنا فى الاتجاه نحو الجنوب • ففى رحلة بواسطة الطريق البرى بين مدينتى اسنا وادفو ، والواقع شرق النيل ، لاحظ الدارس الكثير من الجشوات ، والتى تماثل فى هيأتها

جشوتا نقادة ، ولكن بأحجام تقل عنها • والواقع ، يبدو أن الأمر يحتاج الى محاولة خاصة لتقصى حقيقة هذه الآثار ومدى ارتباطها بمواقع جبانات عصر ما قبل الأسرات فى مصر •

* * *

بهذه الدراسة الموجزة للآثـــار الميجاليثيـــة ، يتبين أن نماذجها المتنوعة ، لم تكن قاصرة عـــلى جهة واحدة دون غيرها ، من جهـــات العالم القديم • وأنها أخذت شـــكل الظـــاهرة العامة ، التى عرفتها مجتمعات ما قبل التاريخ ، شأنها فى ذلك شأن ظواهر أخـــرى ، كان لها صفة العموم •

وقد يعود ايثار بعض الأقاليم لنماذج خاصة من آثار الميجاليث ، على غيرها ، الى اختلافات عرقية بين الجماعات ، واضعين فى الاعتبار طبيعة الأقليم البيئية والجغرافية الى حد ما •

وفى اعتقاد الدارس انـــه فى الامكان اعتبـــار هذه الظاهرة ، تطورا طبيعيا لعادة مألوفة لدى انسان العصور الحجرية ، لاستخدام مادة الحجر • وفى ضوء ما تكشف ابان العصور التاريخية ، بعد ذلك نلحظ أن الانسان لم يتعامل مع الكتل الحجرية الضخمة ـــ فى أغلب الحالات الظاهرة ـــ الا بدافع من وازعين :(*)

ـــ وازع دينى ، بتشييده منازل الآلهة وأماكن العبادة •

ـــ ووازع الخلود وشواغله المتعلقة بعالم ما بعد الموت •

فاذا ما وضعنا ذلك موضع الاعتبار ، أمكن على ضوئه تفسير هذه الآثار الميجاليثية • فيمكن النظر الى المناضد الصخرية dolmen

(*) فى الواقع هناك وازع ثالث ، وهو وازع الحمايـــة والدفاع . ولكن هذا المعنى يخرج عن نطـــاق البحث ، الذى استهدف على وجـــه الخصوص ، دراسة لظاهرة آثار صخرية ، لا يتضح لها فائدة عمليـــة مبـــاشرة .

بكل طرزهـا من جشـوات tumulu ودوائـر الأحجـار Cromlech الى باقى النماذج المحلية التى عرفتها أقطار شمال أفريقيا ، يمكن النظر اليها جميعا عـلى كونها استجابات لشـواغل العالم الآخر ، عالم ما بعد الموت ، وشواغل البعث والخلود •

كما يمكن أيضا ، النظر الى النوع الآخر من الميجاليث ، من نوع الصخر القائم menhir كاستجابة لمتطلبات العبادات والطقوس الشعائرية ، وعالم الآلهة • ومما يزكى من مصادقية مثل هذا التفسير ، ان هذا النوع من الميجاليث ، أقيم فى أغلب حالاته ، فى أماكن خلوية مكشوفة مما يمكن اعتباره على انه رغبـة فى افساح المجال أمـام الجماعات من أداء طقوسها ، ويمـكن افتراض أن ذلك كان يتم فى أوقات عينة مقصودة ، تتوافق مع أوضاع خاصة لبعض الأجـرام السماوية •

وفى ختـام بحثى هذا أتوجه بوافر الشـكر وعميق الامتنان لأسـتاذى الكـريم أ• د• عبد العزيز صالح لمـا أسـداه لى من توجيهات أثناء اعداد هذا البحث •

Les mégalthes en Afrique

Resumé :

Les Populations préhistoriques ont usé d'une grande varitété de mégalithes. Les plus simples sont des tas de pierres ou de terre : tumulus. Des monments constitués par des dalles Reposant sur des piliers ou orthostates ; formant des chàmbres sépulerales, généralemet recouvertes des tumulus, ce sont les dolmens. D'autres monuments mégalithes formés d'un seul bloc de piérre, brut ou grossiérement aménagés. fichés, verticalement dans le sol, ce sont les menhirs. Les menhirs sont parfois rangés en ligne ou disposés en cercle. Leur destination était trés p robablement religieuse .

Ces formes mégalithes couvrent de trés vastes etendues de l'Ancien Monde, de rivages Atlantiques, de l'Europe Jusqué aux littaraux pacifiques de l'Asie, de la Scandinvie jusqu' à Afrique. Les mégalithes africains, malgré leurs parentés avec les constructions européennes, relévent d'une inspiration proprement africain. Les modalités que revêtent les manhirs, dans leur forme ou leur ornementatin l'édification des cerceles de pierres et des chouchets sont typiquement africains .

Les mégalithes jalonnent problement la période qui va du Néolithique ancien à la fin de l'Age du Bronze. On a employé des mégalites en Inde à l'epoque de l'Age du fer, en Island orientale, en Afrique au xlx siécle .

En fait, les mégalithes si differents par la date ou le ritue! qu'il est impossible de fuire une synthése de leur structure . On y retrouve frequemment un mobilier funéraire qui permet de les rapporter à faciés culturel .

On doit ajouter que Ces megalithes prouvent simplement l'importance du rôle de ces formations de pierre, et la Volonté de homme préhistorique à une époque ou à une autre, de construire de semblables demeures pour ses morts .

En Egypte quelques modéles de ces mégalithes se trouvaient à Helouan, à Naggada, à l'est d'Edfou, au sud d'Assouan, c'étaient les tumulus .

En Février 1981, l'auteur était un des membres de l'expédition du Faculté des lettres de l'Alexandrie à Noggada, pour certifier deux tumulus au sud grand tombe « neu race » de foullles de Petrie .

on s'est affirmé que ces tumulus, étaient établis sur un Sol vierge .

On croit que ces mégalithes ont été fondés comme signe pour indiquer la zone des tombeaux .